الإمام زين العابدين عليه السلام
إمام الإنسانيّة ورائد التسامح

النسب الطاهر

ينتمي الإمام السجاد عليه السلام إلى أشرف بيت عرفَتْهُ البشرية، من أكرم آباءٍ وأطهر أمهاتٍ في عالم الأنساب، فهو الإمام علي ابن الإمام الحسين أبي الشهداء وسيد شباب أهل الجنة، الذي يلهج بذكر فضله وعظمة شخصه المؤمنون في شرق الأرض وغربها، وجُلُّ بني الإنسان في أنحاء الأرض: لِما قدَّم وأعطى، وفدى نفسَه في سبيل الله والحفاظ على كرامةِ الناس جميعاً، وتحريرهم من ذلّ عبودية الحُكّام، وتسلُّط الطغاة على المستضعفين وأموالهم ومقدّراتهم، وجدُّهُ أمير المؤمنين وسيد الأوصياء ونَفْس النبيّ بنصّ كتاب الله، وجدُّه الأعظم النبيُّ المصطفى الخاتِمُ لرسالات السماء، أكرمُ الخلق جميعاً، حبيبُ الله وسيدُ وُلْدِ آدم، وإمام المرسلين، وجدتُّه الصدّيقةُ الكبرى فاطمةُ الزهراء سيدةُ نساء العالمين من الأوَّلين والآخِرين.

ولادته عليه السلام

ولد الإمام علي بن الحسين في الخامس من شهر شعبان سنة ثمان وثلاثين من الهجرة النبوية في المدينة المنورة.

أمّه عليها السلام

قال الإمام علي عليه السلام لوَلَدِه الإمام الحسين عليه السلام: ((خذها؛ فإنها ستَلِدُ لك سيداً في العرب، وسيداً في العجم، سيّداً في الدنيا والآخرة)) تلك هي (شاه زنان) بنت يزدجرد(كسرى) فارس، التي جيءَ بها سبيَّةً، فتزوجها الإمام الحسين عليه السلام، فولدت له زينَ العابدين وإمامَ الساجدين عليه السلام.

كنيته عليه السلام وأهمُّ ألقابه

كنيتُه أبو محمد، أما ألقابه فكثيرة وأهمها وأشهرها (زين العابدين)، فهو لقب اختصّ به وانطبق عليه.

إنَّ مفهوم العبادة لا ينحصر بكثرة الصلاة، والصيام، وأداء أنواع مختلفة من العبادة، بل يشمل كذلك سلوكَ الإنسان في معاملاتِه بما يرضى بهِ اللهُ تعالى، والإمامُ عليه السلام أعطى صورةَ العبوديَّةِ الحقّةِ لله جلَّ وعَلا، فكان عابداً في محرابهِ وفي معاملاتِه، مع تسليمه المطلقِ للهِ، ورضاهُ بقضائه، وقد شابَهَ جدَّهُ إبراهيمَ الخليل عليه السلام في تسليمِه لربه حين قالَ في يومِ العاشرِ بعدَ شهادةِ أبيه سيد الشهداء عليه السلام: (لا أقترحُ على ربي) فأعطى بسيرته العمليَّة صورةَ العبد المُسلِّمِ لربّه في تقديره، فكان - بحقٍّ - زيناً للعابدين.

السجّاد عليه السلام

أقربُ ما يكون العبدُ من ربّه وهو ساجدٌ، والسجودُ واجبٌ كما في الصلواتِ الواجبة وأمثالِها، ومستحبٌّ في غيرها، وهو ممدوحٌ في نفسه، وقد يسجدُ المرءُ حين إنعامِ اللهِ، أو تجديدِ نعمةٍ عليه؛ شكراً للمُنعمِ الكريمِ، وقلّما نجدُ أحداً يسجدُ لربّهِ لبليَّةٍ ابتلاهُ الله بها، مِن فَقْدِ ولدٍ، أو ابتلاءٍ بمرضٍ، أو عدوٍ، أو فقرٍ، أو غيرِ ذلك، لكنَّ إمامَنا عليّاً السجاد عليه السلام يتساوى عندَهُ الأمران، فاللهُ المنعمُ على عبدهِ هو نفسُه المبتَلي له، والنعمةُ والبليَّةُ مِن اللهِ تأتي لحكمةٍ، وتقديرٍ مِنَ اللهِ العالم بمصالحِ العباد، فيرى عليه السلام أنَّ كِلا الأمرين يستحقُّ الشكر، فكان يسجد لله في كل نعمة وبلية، ولذلك لُقِّب بـ(السجّاد)؛ لكثرة سجوده،

وفي مواضع سجودِه آثارٌ ثابتة كثفِنات البعير من كثرة سجوده، ولذلك لقب بـ(ذي الثَّفِنات).

حبُّه للصدقات

عُرف الإمام بكثرة الصدقات، فكان حين يجنُّ عليه الليل يحمل على ظهره الأموال والطعام، ويمرُّ بها على بيوت المحتاجين، واتَّصفتْ صدقاته بالسر، يقول بعض المؤرخين: (سمعت أهل المدينة يقولون : ما فقدنا صدقة السر حتى مات علي بن الحسين عليهما السلام، وكان في المدينة كذا وكذا بيتاً يأتيهم رزقهم وما يحتاجون إليه لا يدرون من أين يأتيهم ، فلما مات زين العابدين عليه السلام فقدوا ذلك، فصرخوا صرخة واحدة).

كان كآبائه يعطي ابتداءً لا ينتظر أحداً يسأله، قال جدُّه أمير المؤمنين عليه السلام: ((الجود ما كان ابتداءً فأما ما كان عن سؤال فتذمُّم وحياء))، والجود هو أن تبتدئ الفقير قبلَ أن يسألك، وهذا مبدأ أهل البيت(عليهم السلام)، فكان الإمام يرى الفقير إنساناً كريماً مثل الآخرين لا ينبغي إذلالُه، وكان عليه السلام إذا أتاه طالب في حاجته يقول له: ((اكتبها على الأرض فإني أكره أن أرى ذل السؤال في وجه السائل))، إنها حكمة ودستور للتعامل بين أغنياء الناس وفقرائهم، وما أحوجنا اليوم إلى تطبيقها.

رائد العفو والتسامح

روي عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنّه قال: ((ألا أدلّكم على خير أخلاق الدنيا والآخرة، تصلُ مَن قطَعَك، وتُعطي مَن حرَمَك، وتعفو عمَّن ظلَمَك)).

مِن أسمى أغراض العفو والصفح عن المسيء هو نيلُ رضوان الله تعالى، وكسبُ ثوابه، فالحِلم عن المسيء والعفو عن الناس مِن الأعمال الصالحة التي يسعى الإنسان من خلالها لنيل الأجر عند الله تعالى، وهي من عزائم الأمور، وهذه الصفات النبيلة مما امتاز واتّصف بها الإمام زين العابدين عليه السلام، وقد برزت على الملأ بشكل لافتٍ للأنظار.

ففي السنة التي حكم فيها الوليد منصب الخلافة بعد وفاة عبد الملك بن مروان، أخذ الحاكم الجديد بتعديل الجهاز الإداري للحكم، وذلك لكسب رضا الناس، وتقليل موجة السخط والغضب على بني أمية، وخاصة أهل المدينة، وفيهم من كبار

الصحابة والتابعين، فقام الوليد بإبدال (هشام بن اسماعيل) بعمر بن عبد العزيز، الذي عرف باعتدال سيرته، وأمر الوليد عُمَراً أنْ يوقف هشاماً للناسِ أمام دار مروان، ويأخذ كل صاحب ظلامة حقه بنفسه من هشام، لما كان يصدر منه من سوء المعاملة والظلم لهم، فكان هشام يقول: (ما أخاف إلا من علي بن الحسين) لأنه كان يعامل العلويين معاملة سيئة .

وحينها نهى الإمام زين العابدين(ع) أهله وقاربته أن ينالوا من هشام أو يتعرضوا له بسوء، فقال له أحد أبنائه: (يا أبتِ وَلِمَ؟ واللهِ إنّ أثرهُ عندنا لسيّء، وما كنا نطلب إلا مثل هذا اليوم)، فقال(ع): ((يا بنيّ نَكِلُه إلى الله)) فلم يتعرض له أحد من آل الحسين(ع) بحرف حتى تصرم أمره.

وجاء في رواية أخرى: أنّ الإمام زين العابدين عليه السلام أرسل إليه وقال: ((انظر الى ما اعجزَكَ مِن مالٍ تُؤخَذُ بهِ، فعندنا ما يَسعُكَ، فَطِبْ نَفْساً منّا ومِنْ كلّ مَن يطيعنا))، فنادى هشام: اللهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسالَتَهُ.

الإمام في كربلاء

رُبَّ سائلٍ يسأل : لماذا لم يشاركِ الإمامُ السجادُ(ع) في معركة الطف، ويدفع عن أبيه، ويُستشهدُ دونه كما صنع غيرهُ مِن أهل البيتِ والانصارِ، وهو مُكَلَّفٌ شرعاً، وكانَ عمرُه فيها ثلاثاً وعشرين عاماً؟ وجوابه: أنّ المطّلِع على التأريخ يعلمُ أنّ الإمام زين العابدين(ع) كان في غايةِ المرض، ولعلّ الكثير مِن أحداثِ المعركة ما كان يشعرُ بها، وأنَّ الله بحكمته حفِظَ الإمامة في شخصِه لِعلّةِ المرض، والحيلولةِ دون شهادته في المعركة، وإلا لو كان صحيحاً سليماً لوجب عليه الجهاد والقتال في جبهة أبيه الإمام السبط الشهيد(ع)، وعند ذلك يستشهد بين يديه، والمفروض أنّ الإمامة تنتقل إليه، فحُفظ(ع) ليؤدي دورَه ويُكمل مسيرة كربلاء، ويُبَلِّغَ الهدف منها، ويُكمِلَ الفتح بعد أبيه الشهيد العظيم(ع)، وليَقِفَ في الكوفةِ والشامِ فيفضحَ هو وعمَّتُه زينب(عليهما السلام) أمرَ الطاغية يزيد وبني أمية، ويذلّه، ويوضّحَ ما جرى في كربلاء لأهل الشامِ، ويبيّنَ لهم أنَّ ركب الأُسارى هُم أبناءُ رسولِ الله (صلى الله عليه وآله) وبناتُه ويتاماه، وليسوا خوارجَ كما ادّعى يزيد وأوْهَمَ عامَّةَ الناسِ، وأنّه ابنُ رسولِ الله وعليٍّ وفاطمةَ، وابنُ سِبط الرسولِ وسيّدِ شبابِ أهلِ الجنةِ المذبوحِ بِشطِّ الفُراتِ.

بكاء زين العابدين (عليه السلام)

عندما هجمَت الخيلُ على المخيَّم بعد شهادة الإمام الحسين(ع)، نظر الإمام السجاد(ع) إلى عمّاته وأخواته وهُنَّ يتراكَضْنَ مِن خيمةٍ إلى خيمة، ومِن خِباءٍ إلى خباء، والمنادي ينادي: أحرقوا بيوت الظالمين، هذا المنظر وغيرُه لا يغيب عن ذاكرته أبداً، فكان شديد البكاء ما بقيَ من عمرِه بعد واقعة الطف، فقضّى(ع) أربعاً وثلاثينَ، أو خمساً وثلاثين عاماً، قضّاها بالحزن والعَبرة والبكاء، وما وُضِعَ بين يديه طعامٌ أو شرابٌ قطُّ إلا ومزجه بدموع عينيه، وبقيَ(ع) على هذه الحال حتى انقضتْ أيّامه، ورحَل إلى ربّه بغصّةِ المصاب.

شهادته(عليه السلام)

لمّا هلك عبدُ الملك بن مروان، جلس ابنه الوليد على كرسي حكم الجور والظلم، فجعل يحتال في قَتْلِ إمامنا زين العابدين(ع)، حتى بعث سُماً قاتلاً إلى والي المدينة، وأمره أن يسقي ذلك السمَّ لعليّ بن الحسين(ع)، ويقتله سراً، ففعل الوالي، فلما سُقي إمامُنا(ع) مَرِضَ مرضاً شديداً، وصار يُغشى عليه ساعةً بعدَ ساعة، حتى كانت ليلةُ شهادته في (٢٥) من شهر محرم عام (٩٥)هـ، وغشي عليه في تلك الليلة ثلاثَ مرات، فلما أفاق من غشيته الأخيرة تلا هذه الآية ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ ولمّا تيقّن حلولَ أمرِ الله تعالى وانقطاعَ أجَلِه أوصى ولدَه الباقر(ع) بوصاياه، ثم قرأ الآية: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ بينما الإمام يقرأ القرآن وهو في ساعة الاحتضار إذْ أشرق من وجهه الشريف نورٌ يخطف الأبصار، وفاضت روحه المقدّسة، فبكى الإمام الباقر(ع)، وضجَّ أهله وعيالُه، وضجّت المدينةُ بالبُكاءِ والعَويل، وكانَ كيومٍ ماتَ فيهِ رسولُ الله (صلى الله عليه وآله).

فسلامٌ عليكَ يا بنَ رسولِ اللهِ يومَ وُلِدتَ سَعيداً، ويومَ استشهِدْتَ، ويومَ تبعثُ حيّاً شاهِداً وشفيعاً.

العتبة العلوية المقدسة

قسم الشؤون الفكرية والثقافية

الإمام زين العابدين(عليه السلام)

إمام الإنسانيّة ورائد التسامح